**اسم المادة الدراسية باللغة العربية : عصر الرسالة**

**اسم المادة الدراسية باللغة الانكليزية : History of the Prophetical Period**

**اسم المحاضرة : حجة الوداع ومرض النبي (صلى الله عليه وسلم) ووفاته**

**اسم التدريسي : أ.د.مظهر عبد علي**

**المستوى الدراسي : الأول**

**الدراسة : الصباحية**

**الأسبوع : الخامس عشر**

**حجة الوداع سنة 10هـ :**

الحج أحد الأركان الخمسة ، وقد فرض في العام العاشر, وهذا ما ذهب إليه ابن القيم واستدل بأدلة قوية وهو اللائق بهديه صلى الله عليه وسلم في عدم تأخير ما هو فرض ؛ لأن الله تعالى يقول: (وَللهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً) [آل عمران: 97] ، وقد نزلت عام الوفود أواخر سنة تسع ، لم يحج النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة غير حجته التي كانت في العام العاشر, وعرفت هذه الحجة بحجة البلاغ ، وحجة الإسلام ، وحجة الوداع ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم ودع الناس فيها ولم يحج بعدها , وحجة البلاغ لأنه صلى الله عليه وسلم بلغ الناس شرع الله في الحج قولاً وعملاً ، ولم يكن بقي من دعائم الإسلام وقواعده شيء إلا وقد بينه , فلما بين لهم شريعة الحج ووضحه وشرحه أنزل الله عليه بعرفة: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا) [المائدة: 3] ولما نزلت هذه الآية بكى بعض الصحابة ومنهم عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وكأنهم فهموا منها الإشارة إلى قرب أجل الرسول صلى الله عليه وسلم , ولما قيل لسيدنا عمر: ما يبكيك؟ قال: إنه ليس بعد الكمال إلا النقصان , وكان عدد الذين مع رسول الله أكثر من مائة ألف .

**مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ووفاته :**

إن الأرواح الشفافة الصافية القوية لتدرك بعض ما يكون مخبوءاً وراء حجب الغيب بقدرة الله تعالى ، والقلوب الطاهرة المطمئنة لتحدث صاحبها بما عسى أن يحدث له فيما يستقبل من الزمان ، والعقول الذكية المستنيرة بنور الإيمان لتدرك ما وراء الألفاظ والأحداث من إشارات وتلميحات , ولنبينا محمد صلى الله عليه وسلم من هذه الصفات الحظ الأوفر، وهو منها بالمحل الأرفع الذي لا يسامى ولا يطاول ، ولقد جاءت بعض الآيات القرآنية مؤكدة على حقيقة بشرية النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه كغيره من البشر سوف يذوق الموت ويعاني سكراته كما ذاقه من قبل إخوانه من الأنبياء ، ولقد فهم صلى الله عليه وسلم من بعض الآيات اقتراب أجله ، وقد أشار صلى الله عليه وسلم في طائفة من الأحاديث الصحيحة إلى اقتراب وفاته ، منها ما هو صريح الدلالة على الوفاة , ومنها ما ليس كذلك ، حيث لم يشعر ذلك منها إلا الآحاد من كبار الصحابة الأجلاء كأبي بكر والعباس ومعاذ رضي الله عنهم .

**الآيات والأحاديث التي أشارت إلى وفاته صلى الله عليه وسلم :**

**1– الآيات :**

أ- قال تعالى: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَّضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ) [آل عمران: 144] ، قال القرطبي: فأعلم الله تعالى في هذه الآية أن الرسل ليست بباقية في قومها أبداً ، وأنه يجب التمسك بما أتت به الرسل ، وإن فقد الرسل بموت أو قتل .

ب- قال تعالى: (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ) [الزمر: 30] ، قال ابن كثير: هذه الآية من الآيات التي استشهد بها الصديق - رضي الله عنه - عند موت الرسول صلى الله عليه وسلم حتى تحقق الناس موته .

ج- قال تعالى: (وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ) [الأنبياء: 34] ثم أعقب ذلك ببيان أن الموت حتم لازم وقدر سابق , فقال عز وجل: (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) [الأنبياء: 35] ، فهذه الآيات صريحة ونصت على وفاته صلى الله عليه وسلم ، وهناك بعض الآيات أشارت إلى ذلك وإن لم تصرح , منها .

د- قال تعالى: (وَلَلآَخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأُولَى - وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) [الضحى: 4 - 5] .

هـ- قال تعالى: (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ - وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ) [الرحمن: 26 - 27] ، وقال تعالى: (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) [القصص: 88] .

ز- قال تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا) [المائدة: 3] ، وقد بكى عمر بن الخطاب حين نزلت الآية , فقيل: ما يبكيك؟ فقال: إنه ليس بعد الكمال إلا النقصان ، وكأنه استشعر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى: (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا) [النصر: 1: 3] ، فقد سأل عمر - رضي الله عنه - ابن عباس عن هذه الآية: (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ) ، فقال: أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه إياه ، فقال: ما أعلم منها إلا ما تعلم ، وفي رواية الطبراني قال ابن عباس: نعيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه حين نزلت فأخذ بأشد ما كان قط اجتهاداً في أمر الآخرة .

**2- أما الأحاديث التي أشارت إلى ذلك فهي :**

أ- قالت -عائشة رضي الله عنها-: اجتمع نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده ، لم يغادر منهن امرأة ، فجاءت فاطمة تمشي لا تخطئ مشيتها مشية أبيها , فقال: «مرحبا يا بنيتي» فأقعدها يمينه أو شماله ، ثم سارَّها فبكت ، ثم سارَّها فضحكت ، فقلت لها: خصك رسول الله بالسرار وأنت تبكين؟ فلما أن قامت قلت لها أخبريني ما سارَّك؟ فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم , فلما توفي قلت لها: أسألك لما لي عليك من الحق لما أخبرتني ، قالت: أما الآن فنعم ، قالت: سارني في الأول قال لي: «إن جبريل كان يعارضني في القرآن كل سنة مرة ، وقد عارضني في هذا العام مرتين ، ولا أرى ذلك إلا اقتراب أجلي ، فاتقي الله واصبري ، فنعم السلف أنا لك» ، فبكيت , ثم سارني فقال: «أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين ، أو سيدة نساء هذه الأمة؟» فضحكت .

وفي هذا الحديث دليل قاطع وإشارة واضحة إلى اقتراب أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن ساعة الفراق قد باتت قريبة , إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم قد اختص ابنته فاطمة -رضي الله عنها- بعلم ذلك ، ولم يعلم به المسلمون إلا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ب- قال جابر - رضي الله عنه -: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يرمي على راحلته يوم النحر ويقول: «لتأخذوا عني مناسككم ؛ فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه» ، قال النووي: فيه إشارة إلى توديعهم وإعلامهم بقرب وفاته صلى الله عليه وسلم ، وحثهم على الاعتناء بالأخذ عنه وانتهاز الفرصة من ملازمته وتعلم أمور الدين ، وبهذا سميت حجة الوداع ، وقال ابن رجب: وما زال صلى الله عليه وسلم يعرض باقتراب أجله في آخر عمره ، فإنه لما خطب في حجة الوداع قال للناس: «خذوا عني مناسككم , فلعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا» فطفق يودع الناس فقالوا: هذه حجة الوداع .

ج- قال أبو سعيد الخدري - رضي الله عنه -: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس وقال: «إن الله خيَّر عبداً بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ذلك العبد ما عند الله» قال: فبكى أبو بكر, فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد خُيِّر, فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخيَّر, وكان أبو بكر أعلمنا ، قال الحافظ ابن حجر: وكأن أبا بكر - رضي الله عنه - فهم الرمز الذي أشار به النبي صلى الله عليه وسلم من قرينة ذكره ذلك في مرض موته , فاستشعر منه أنه أراد نفسه؛ فلذلك بكى .

د- قال العباس بن عبد المطلب - رضي الله عنه -: رأيت في المنام كأن الأرض تنزع إلى السماء بأشطان شداد , فقصصت ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «ذاك وفاة ابن أخيك» , وفي هذا الحديث إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بقرب وفاته ، وفيه صدق رؤيا المؤمن ، واستشعار بعض الصحابة وفاته عليه الصلاة والسلام .

هـ- وعن معاذ أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بعثه إلى اليمن خرج راكبا والنبي صلى الله عليه وسلم يمشي تحت راحلته فقال: «يا معاذ , عسى ألا تلقاني بعد عامي هذا ، فتمر بقبري ومسجدي» ، فبكى معاذ لفراقه صلى الله عليه وسلم ، فقال: «لا تبك يا معاذ ؛ فإن البكاء من الشيطان» ، وفي الحديث إخبار النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل باقتراب أجله ، وأنه يمكن ألا يلقاه بعد عامه هذا ، وفيه شدة محبة الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم وبكاؤهم إذا ذكروا فراقه .

**مرض الرسول صلى الله عليه وسلم :**

رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع في ذي الحجة , فأقام بالمدينة بقيته والمحرم وصفراً ، من العام العاشر, فبدأ بتجهيز جيش أسامة ، وأمَّر عليهم أسامة بن زيد بن حارثة , وأمره أن يتوجه نحو البلقان وفلسطين ، فتجهز الناس وفيهم المهاجرون والأنصار، وكان منهم أبو بكر وعمر، وكان أسامة بن زيد ابن ثماني عشرة سنة ، وتكلم البعض في تأميره وهو مولى وصغير السن على كبار المهاجرين والأنصار, فلم يقبل الرسول صلى الله عليه وسلم طعنهم في إمارة أسامة , فقال صلى الله عليه وسلم: «إن يطعنوا في إمارته فقد طعنوا في إمارة أبيه , وايم الله إن كان لخليقاً للإمارة ، وإن كان من أحب الناس إليَّ وإن ابنه هذا لمن أحب الناس إليَّ بعده» ، وبينما الناس يستعدون للجهاد في جيش أسامة ابتدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم شكواه الذي قبضه الله فيه ، وقد حدثت حوادث ما بين مرضه ووفاته منها:

عن أبي مويهبة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم من جوف الليل فقال: «يا أبا مويهبة , إني قد أمرت أن أستغفر لأهل البقيع, فانطلق معي» ، فانطلقت معه , فلما وقف بين أظهرهم قال: «السلام عليكم يا أهل المقابر، ليهنأ لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه ، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ، يتبع آخرها أولها ، الآخرة شر من الأولى» ثم أقبل عليَّ فقال: «يا أبا مويهبة ، إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ، ثم الجنة ، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة» قال: فقلت: بأبي أنت وأمي , خذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة ، قال: «لا والله يا أبا مويهبة ، لقد اخترت لقاء ربي والجنة» , ثم استغفر لأهل البقيع ، ثم انصرف , فبدأ برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه الذي قبضه الله فيه .

ومن حديث عقبة بن عامر الجهني- رضي الله عنه- قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى على قتلى أحد بعد ثماني سنين كالمودع للأحياء والأموات ، ثم طلع المنبر فقال: «إني بين أيديكم فرط ، وأنا عليكم شهيد ، وإن موعدكم الحوض ، وإني لأنظر إليه وأنا في مقامي هذا ، وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا , ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها» ، فقال عقبة: فكانت آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

**استئذانه صلى الله عليه وسلم أن يمرَّض في بيت عائشة وشدة المرض الذي نزل به :**

قالت عائشة رضي الله عنها: لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد وجعه , استأذن أزواجه في أن يمرَّض في بيتي , فأذن له , فخرج وهو بين رجلين ، تخط رجلاه في الأرض ، بين عباس ورجل آخر , ولما دخل بيتي اشتد وجعه ، قال: «أهريقوا عليَّ من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن , لعلي أعهد إلى الناس» فأجلسناه في مخضب لحفصة ، ثم طفقنا نصب عليه من تلك القرب ، حتى طفق يشير إلينا بيده أن قد فعلتن ، ثم خرج إلى الناس فصلى بهم وخطبهم وقالت عائشة رضي الله عنها: ما رأيت رجلاً أشد عليه الوجع من رسول الله صلى الله عليه وسلم , وقال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوعك فمسسته بيدي ، فقلت: يا رسول الله , إنك لتوعك وعكا شديداً ، قلت: إن ذاك بأن لك أجرين؟ قال: «أجل ما من مسلم يصيبه أذى إلا حات الله عنه خطاياه ، كما تحات ورق الشجر» .

**من وصايا رسول الله في أيامه الأخيرة :**

**1- وصيته صلى الله عليه وسلم بالأنصار:**

مر العباس- رضي الله عنه - بقوم من الأنصار يبكون حين اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه , فقال لهم: (ما يبكيكم؟) قالوا: ذكرنا مجلسنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل العباس عليه صلى الله عليه وسلم فأخبره فعُصِّب بعصابة دسماء أو قال: بحاشية برد ، وخرج وصعد المنبر -ولم يصعد بعد ذلك اليوم- فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أوصيكم بالأنصار فإنهم كرشي وعيبتي , وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم ، فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم» , وفي الحديث شدة محبة الأنصار لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبكاؤهم لمرضه وحرمانهم من مجلسه .

**2- إخراج المشركين من جزيرة العرب وإجازة الوفد :**

لقد ازدادت شدة المرض على رسول الله ، بحيث كان يغمى عليه في اليوم الواحد مرات عديدة ، ومع ذلك كله أحب صلى الله عليه وسلم أن يفارق الدنيا وهو مطمئن على أمته أن تضل من بعده , فأراد أن يكتب لهم كتابا مفصلا ليجتمعوا عليه ولا يتنازعوا , فلما اختلفوا عنده صلى الله عليه وسلم عدل عن كتابة ذلك الكتاب وأوصاهم بأمور ثلاثة , ذكر الراوي منها اثنين: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب» ، «وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم به» .

**3- النهي عن اتخاذ قبره مسجداً :**

كان من آخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: «قاتل الله اليهود والنصارى , اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، لا يبقين دينان بأرض العرب» .

**4- إحسان الظن بالله :**

قال جابر- رضي الله عنه -: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل موته بثلاث: «أحسنوا الظن بالله عز وجل» .

**5- الوصية بالصلاة وما ملكت أيمانكم :**

قال أنس - رضي الله عنه -: كانت وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حضره الموت: «الصلاة وما ملكت أيمانكم» حتى جعل يغرغر بها في صدره ، ولا يفيض بها لسانه .

**6- لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا :**

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم الستر, ورسول الله صلى الله عليه وسلم معصوب في مرضه الذي مات فيه ، فقال: «اللهم بلغت» ثلاث مرات ، «أنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا، يراها العبد الصالح أو ترى له , ألا وإني قد نهيت عن القراءة في الركوع والسجود ، فإذا ركعتم فعظموا الله ، وإذا سجدتم فاجتهدوا في الدعاء , فإنه قمن أن يستجاب لكم» .

**أبو بكر يصلي بالمسلمين :**

ولما اشتد المرض بالنبي صلى الله عليه وسلم وحضرت الصلاة فأذن بلال , قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مروا أبا بكر فليصل» فقيل: إن أبا بكر رجل أسيف إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس ، وأعاد فأعادوا له ، فأعاد الثالثة فقال: «إنكن صواحب يوسف ، مروا أبا بكر فليصل بالناس» فخرج أبو بكر فوجد النبي صلى الله عليه وسلم في نفسه خفة , فخرج يهادي بين رجلين ، كأني أنظر إليه يخط برجليه الأرض ، فلما رآه أبو بكر، ذهب يتأخر فأشار إليه أن صل فتأخر أبو بكر - رضي الله عنه - وقعد النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى جنبه وأبو بكر يسمع الناس التكبير.

**الساعات الأخيرة من حياة المصطفى :**

كان أبو بكر يصلي بالمسلمين حتى إذا كان يوم الإثنين ، وهم صفوف في صلاة الفجر، كشف النبي صلى الله عليه وسلم ستر الحجرة ، ينظر إلى المسلمين ، وهم وقوف أمام ربهم ، ورأى كيف أثمر غرس دعوته وجهاده, وكيف نشأت أمة تحافظ على الصلاة ، وتواظب عليها بحضرة نبيها وغيبته ، وقد قرت عينه بهذا المنظر البهيج ، وبهذا النجاح الذي لم يقدر لنبي أو داعٍ قبله ، واطمأن أن صلة هذه الأمة بهذا الدين وعبادة الله تعالى صلة دائمة ، لا تقطعها وفاة نبيها، فملئ من السرور ما الله به عليم , واستنار وجهه وهو منير يقول الصحابة رضي الله عنهم: كشف النبي صلى الله عليه وسلم ستر حجرة عائشة ينظر إلينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف ، ثم تبسم يضحك ، فهممنا أن نفتتن من الفرح ، وظننا أن النبي صلى الله عليه وسلم خارج إلى الصلاة ، فأشار إلينا أن أتموا صلاتكم ، ودخل الحجرة ، وأرخى الستر وانصرف بعض الصحابة إلى أعمالهم ، ودخل أبو بكر على ابنته عائشة وقال: ما أرى رسول الله إلا قد أقلع عنه الوجع ، وهذا يوم بنت خارجة ، إحدى زوجتيه , وكانت تسكن بالسنح فركب على فرسه وذهب إلى منزله .

**في الرفيق الأعلى :**

واشتدت سكرات الموت بالنبي صلى الله عليه وسلم , ودخل عليه أسامة بن زيد وقد صمت فلا يقدر على الكلام ، فجعل يرفع يديه إلى السماء ثم يضعها على أسامة ، فعرف أنه يدعو له ، وأخذت السيدة عائشة رسول الله وأوسدته إلى صدرها بين سحرها ونحرها ، فدخل عبد الرحمن بن أبي بكر وبيده سواك ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إليه ، فقالت عائشة: آخذه لك؟ فأشار برأسه: نعم ، فأخذته من أخيها ثم مضغته ولينته وناولته إياه فاستاك به كأحسن ما يكون الاستياك ، وكل ذلك وهو لا ينفك عن قوله: «في الرفيق الأعلى» وكان صلى الله عليه وسلم يدخل يده في ركوة ماء أو علبة فيها ماء ، فيمسح بها وجهه ويقول: «لا إله إلا الله ، إن للموت سكرات» ثم نصب يده فجعل يقول: «في الرفيق الأعلى» .. حتى قبض ومالت يده , وفي لفظ أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «اللهم أعني على سكرات الموت» ، وفي رواية: أن عائشة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم وأصغت إليه قبل أن يموت وهو مسند ظهره يقول: «اللهم اغفر لي وارحمني, وألحقني بالرفيق الأعلى» .

وقد ورد أن فاطمة رضي الله عنها قالت: واكرب أباه! فقال لها: «ليس على أبيك كرب بعد اليوم» , فلما مات قالت: يا أبتاه .. أجاب ربا دعاه ، يا أبتاه .. جنة الفردوس مأواه ، يا أبتاه .. إلى جبريل ننعاه , فلما دفن صلى الله عليه وسلم قالت فاطمة لأنس: كيف طابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب؟! .

**كيف فارق رسول الله الدنيا؟**

فارق رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا وهو يحكم جزيرة العرب ، ويرهبه ملوك الدنيا ، ويفديه أصحابه بنفوسهم وأولادهم وأموالهم , وما ترك عند موته ديناراً ولا درهماً ، ولا عبداً ولا أمة ، ولا شيئاً إلا بغلته البيضاء ، وسلاحه وأرضاً جعلها صدقة ، وتوفي صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير ، وكان ذلك يوم الإثنين 12 من ربيع الأول سنة 11 للهجرة بعد الزوال وله صلى الله عليه وسلم ثلاث وستون سنة , وكان أشد الأيام سواداً ووحشة ومصاباً على المسلمين ، ومحنة كبرى للبشرية ، كما كان يوم ولادته أسعد يوم طلعت فيه الشمس .

يقول أنس - رضي الله عنه -: كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شيء ، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء وبكت أم أيمن فقيل لها: ما يبكيك على النبي؟ قالت: إني قد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيموت , ولكن إنما أبكي على الوحي الذي رفع عنا .

**هول الفاجعة وموقف أبي بكر منها :**

ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم اضطرب المسلمون ، فمنهم من دهش فخولط ، ومنهم من أقعد فلم يطق القيام ، ومنهم من اعتقل لسانه فلم يطق الكلام ، ومنهم من أنكر موته بالكلية ، قال القرطبي مبينا عظم هذه المصيبة وما ترتب عليها من أمور.

من أعظم المصائب المصيبة في الدين .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصابه بي , فإنها أعظم المصائب» وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم , لأن المصيبة به أعظم من كل مصيبة يصاب بها المسلم بعده إلى يوم القيامة ، انقطع الوحي ، وماتت النبوة ، وكان أول ظهور الشر بارتداد العرب , وغير ذلك ، وكان أول انقطاع الخير وأول نقصانه .

لقد أذهل نبأ الوفاة عمر- رضي الله عنه - فصار يتوعد وينذر من يزعم أن النبي مات , ويقول: ما مات , ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران ، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم , والله ليرجعن رسول الله كما رجع موسى، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أنه مات .

ولما سمع أبو بكر الخبر أقبل على فرس من مسكنه بالسنح ، حتى نزل ، فدخل المسجد ، فلم يكلم الناس ، حتى دخل على عائشة فتيمم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مغشي بثوب حبرة ، فكشف عن وجهه ، ثم أكب عليه فقبله وبكى ، ثم قال: بأبي أنت وأمي! والله لا يجمع الله عليك موتتين ، أما الموتة التي عليك فقد متَّها ، وخرج أبو بكر وعمر يتكلم , فقال: اجلس يا عمر، وهو ماضٍ في كلامه ، وفي ثورة غضبه ، فقام أبو بكر في الناس خطيباً بعد أن حمد الله وأثنى عليه فقال: أما بعد: فإن من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، ثم تلا هذه الآية: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَّضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ) [آل عمران: 144] ، قال عمر: فوالله ما إن سمعت أبا بكر تلاها فهويت إلى الأرض ما تحملني قدماي ، وعلمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات .

قال القرطبي: هذه الآية أدل دليل على شجاعة الصديق وجراءته ، فإن الشجاعة والجراءة حدهما ثبوت القلب عند حلول المصائب ، ولا مصيبة أعظم من موت النبي صلى الله عليه وسلم , فظهرت شجاعته وعلمه ، قال الناس: لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم عمر، وخرس عثمان ، واستخفى علي ، واضطرب الأمر, فكشفه الصديق بهذه الآية حين قدومه من مسكنه بالسنح ، فرحم الله الصديق الأكبر، كم من مصيبة درأها عن الأمة! وكم من فتنة كان المخرج على يديه! وكم من مشكلة ومعضلة كشفها بشهب الأدلة من القرآن والسنة ، التي خفيت على مثل عمر - رضي الله عنه -! فاعرفوا للصديق حقه ، واقدروا له قدره ، وأحبوا حبيب رسول الله صلى الله عليه وسلم, فحبه إيمان وبغضه نفاق ، وبايع المسلمون أبا بكر بالخلافة ، في سقيفة بني ساعدة، حتى لا يجد الشيطان سبيلاً إلى تفريق كلمتهم ، وتمزيق شملهم ، ولا تلعب الأهواء بقلوبهم ، وليفارق رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الدنيا وكلمة المسلمين واحدة ، وشملهم منتظم ، وعليهم أمير يتولى أمورهم ، ومنها تجهيز رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفنه .

**غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفنه والصلاة عليه :**

قالت عائشة رضي الله عنها: لما أرادوا غسل النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: ما ندري أنجرده من ثيابه كما نجرد موتانا ، أو نغسله وعليه ثيابه ، فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم حتى ما منهم رجل إلا وذقنه في صدره , فكلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو، أن اغسلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه ثيابه ، فغسلوه وعليه قميصه ، يصبون الماء فوق القميص، ويدلكون بالقميص دون أيديهم ، قالت عائشة: لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما غسله إلا نساؤه .

وكفن صلى الله عليه وسلم في ثلاثة أثواب سحولية ، من ثياب سحول -بلدة باليمن- ليس فيها قميص ولا عمامة وقد صلى عليه المسلمون . قال ابن عباس: لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم أدخل الرجال فصلوا عليه بغير إمام أرسالاً ، حتى فرغوا ، ثم أدخل النساء فصلين عليه ، ثم أدخل الصبيان فصلوا عليه ، ثم أدخل العبيد فصلوا عليه أرسالاً ، لم يؤمهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد ، قال ابن كثير: وهذا الصنيع -وهو صلاتهم عليه فرادى لم يؤمهم أحد- أمر مجمع عليه لا خلاف فيه .

**موقع دفنه وصفة قبره ومن باشر دفنه؟ ومتى دفن؟**

اختلف المسلمون في موقع دفنه فقال بعضهم: يدفن عند المنبر، وقال آخرون: بالبقيع ، وقال قائل: في مصلاه , فجاء أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - فحسم مادة هذا الخلاف أيضا بما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم , قالت عائشة وابن عباس: لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وغسل اختلفوا في دفنه , فقال أبو بكر: ما نسيت ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما قبض الله نبياً إلا في الموضع الذي يجب أن يدفن فيه» ، ادفنوه في موضع فراشه ، وهذا الحديث وإن كان مختلفاً في صحته إلا أن دفن النبي صلى الله عليه وسلم في موضعه الذي توفي فيه أمر مجمع عليه ، وقال ابن كثير: قد علم بالتواتر أنه عليه الصلاة والسلام دفن في حجرة عائشة التي كانت تختص بها ، شرقي مسجده في الزاوية الغربية القبلية من الحجرة ، ثم دفن فيها أبو بكر, ثم عمر, رضي الله عنهما .

وقد لحد قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أجمع العلماء على أن اللحد والشق جائزان ، لكن إذا كانت الأرض صلبة لا ينهار ترابها فاللحد أفضل ، وإن كانت رخوة تنهار فالشق أفضل ، وقد قال الألباني-رحمه الله-: ويجوز في القبر اللحد والشق لجريان العمل عليهما في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكن الأول أفضل لأن الله تعالى لا يختار لنبيه إلا الأفضل , وأما صفة قبره فقد كان مسنماً أي مرتفعاً ، وذهب جمهور العلماء إلى أن المستحب في بناء القبور هو التسنيم وأنه أفضل من التسطيح , وفي المسألة خلاف طويل ليس هذا محله ، وقد قرب ابن القيم رحمه الله بين المذهبين فقال: وكانت قبور أصحابه لا مشرفة ، ولا لائطة ، وهكذا كان قبره الكريم ، وقبرا صاحبيه ، فقبره صلى الله عليه وسلم مسنم مبطوح ببطحاء العرصة الحمراء ، لا مبني ولا مطين ، وهكذا قبرا صاحبيه وقد كان قبره صلى الله عليه وسلم مرتفعا قليلاً عن سطح الأرض .

وأما الذين باشروا دفنه صلى الله عليه وسلم فقال ابن إسحاق: وكان الذين نزلوا في قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب ، والفضل بن عباس ، وقثم بن عباس ، وشقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم , وزاد النووي والمقدسي : العباس , قال النووي: ويقال كان أسامة بن زيد وأوس بن خولي معهم ، ودفن في اللحد ، وبنى عليه صلى الله عليه وسلم في لحده اللبن ، يقال إنها تسع لبنات ، ثم أهالوا التراب .

وأما وقت دفنه فقد ذهب كثير من العلماء إلى أنه دفن ليلة الأربعاء , قال ابن كثير: والمشهور عن الجمهور ما أسلفناه من أنه عليه السلام توفي يوم الإثنين ودفن ليلة الأربعاء .

لقد كان لوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أثر على الصحابة الكرام , فقد قال أنس - رضي الله عنه -: وما نفضنا عن النبي صلى الله عليه وسلم الأيدي -إنا لفي دفنه- حتى أنكرنا قلوبنا .